

الرحيل عن مدن الهزيمة

فهل أنت من زمن جاء يرحل من غير زاد. ومن غير سفر بهذا الطريق الذي تمهر الشمس جبهته بالصياد.

لك اليوم ان نلتقي بالمسافات مبتهلا مثلما يلتقي طائر بالينابيع عبر الصحاري ، يعانها . يفسل الجرح ، ينفض عنه الغبار المجمع ، ينزع انوابه اسود . يمسح عينيه ، يعتجها للسمع الذي يمنح العصر اجنحه لا تخاف الرياح .

لك اليوم ان ترتدي الشوق والحلم المتفجر انهار صحو وشاح

فانت بغداد تولد ، بغداد هذي التي لم تنزل باحة للشروق ومئذنة للصباح ، وكل الذي فيك يمتد ، يعبر ، يخضر ، يرسم في الارض اشعره لونها الفرح المتوهج فوق الشعاع النبية والوجه العربيـه والخطوات التي من رباها يند السماع .

هنا . انت مجمره ، غابة من لهيب تحدر يكتسح الماء ، يأكل كل الجذور القريبة . قل للرمال النديه: لا تشربي رغو الطين او تمضني لبس الشوك اذ ربما كنت انت البقية من عالم فيه احيا نقياً . انا انت . مهمسا تكن شفتي ، لغتي ، احرفي ، شففتي في المجامر . بي كل ما في الطيور المهاجرة الصوت لا تنكريني ولا تنكري مولدي . انني اولد اليوم ثانية . هاك تاريخ مجمرتي فهي ليست تراباً ولا موقدا للرماد .

هبي انني كلما لغتني الصمت اعشق طعم الهواء الذي لا تزامحه زاحفات الجراد فاني قد اجتزت اسوار كل الحرائق واخرق اللهب المتحدر اوردني والتظي عطشي فانا عبد هذا المداد

وليل المحابر ساقيتي . هل تحف المحابر في زمن فيه للجرح الف اخضرار و ألف افتاد ؟

لقد اطعم الزهر حتى الحصى واكتسى النبع ، اردية الطين واحتضن الربوات الظماء الفتاد .

مررت على مدن الامس اسألها عن محاربيها ، عن خطي صنعت عمرها في المدار القصي ، انزوت خلف مدرجة الليل ، القت تواريخها في تراب التساقط ، نامت خيولا بكتها قوائمها . انها تاكل الجوع لابدة في الرمال التي احترقت كل ذراتها في عيون المطيفين بالشمس عبر المدى واخرق الحدود التي في مهباتها اعتمرت جبهتي ، زفرت كل اجنحتي ، فالليالي مدار وساحاتها مرفا للقوافل

لاني اغني واحمل قيثارتي فوق صدري الجريح نبيا تسد محاربيه عين الليل والبشر الضانعين غريب انا وغريب نداني وسفري معطله كل احرفه ، عربي انا . كان سيمي تباركه الارض ، تمنحه قبلة ، ترضع الشمس من غمده ، تشرب الريح ظامئة صوته . يا دمي انت لي شاهد . بعد ما عز في زمن البوح بالماء واللبب المطلقا الجمرات الشهود النفيسون والانبياء .

رايت المواكب قادمه ، قلت : ها ان عرسي قريب وان الهلاهل آتية والمواعيد قد فتحت كل ابوابها . لم تعد واحتني ساحة للدروب الشتائية القاع ، للعبات المسمرة الظل ، للاذرع المستريحة فوق المساند ، للاعين المشرئية من غير نار ، لكل الخطي المتعبة . وفي واحتني كان بيتي وكل بيوت الرجال الصريعة ايامهم ، كان نهري المحاصر شاطئه ، كان حتى مصلاتي مطفاة ريحه والمواويل مندورة للباء وللخيل كان ارتعاش وللشمس كان انطفاء وكنا نقول لاطفالنا ولاسوارنا : اننا نملك العزم والكبرياء

وسرعان ما نطوي خجلا حين تصرخ اعماقنا: انتم ، انتم . . .

ثم تطعن كل حكاياتنا قهقهات النساء تعريت انت ، تعريت نداؤك ، حاصرك الصمت ، لم تتقد شفة ، لم تعانق خطي العصر ، لم تتنفس هواء البحار الجديدة ، لم تحترق مغرفا ، لم تشق العيابات . انت المسافر بالحلم المتوزع ، انت المذبذب بالعشق ، بالكلمات الحبيسة ، بالاحرف المستترقة ، بالوهج المتعطش للماء . هل يمنح السفر المر زاد العبور لمرتل لا ترى الشمس عيناه او تبصر القمم النائبة ؟

لانت البعيد الذي يحتمي بالظلال المهجرة الظاميه ويولد في ساحة يزرع الليل احداقها انجما خايه ونهرا من الرمل كان الطريق الى عالم يهب النور للمدن الغافية .

يقولون : زاد المنى ليس مرآ . وانت تجرعه علقما ، اطعمتك الليالي العقيمة اكوسه تمرا نسفه كان ملح الجراح التي انبتتها الحرائق . يا شفة عبث الماء انهار رمل مدائنه اغلقت كل ابوابها في وجوه الرجال المطلين من شرفات السماء . فما اقتل العطش المتبرعم واحسات موت بأرض سقاها دم الانبياء !.

والعابرين الجسور الكبيرة . هذا مطاف الحشود
المقيمة في الارض يا اذرعاً ملكت عصرها والتقت
بخطاها الدروب .

انا انت هذي البحار التي كل يوم تصلي ، ترى
الله في مهبط الشوق ، تحمله احرفاً سفرها عالم
موغل في شعاب الحرائق ، انجمه ترتقي زمناً
لا تشيخ الهياكل في قاعه او تغيب الرؤى . انت
مسرجه ، يوقد السر في نارها ، يوقظ الصحو .
يا صحوات المحاجر في كل غابي استرددي دماء
على الارض ما برحت تملك الاختيار
هو البحر اشرة من عيون ونار
فلا تركيه اغتراباً ولا تسكنيه انتظار
فما كان يوماً لمرتبب موعدا او لمرتحل دون
زاد مقبلاً ودار .

على الف سارية صلت الريح ، رف السني ،
ازهر القمر المرتدي ثوبه الازلي ، اعلى صهوة
الشمس رأس تغني بما كان يملك ، يحمل ، يعشق ،
يحلم ، يرسم للقادمين الطريق الذي لا تضيع
المسافات في خطوه او تموت النداءات . ان النداء
الاخير ابتداء وصوت ابتهاج على شفة جرحها يمنح
البشر الضائعين الصدى الحر في عالم يحمل
الانتماء

من العار ان تستطيب البكاء
وانت هنا واقف بين كل الحشود التي ترفض
الانحناء

فليست خيولاً مطهمة هذه الاذرع المشرببة
اعناقها لدروب السماء
اذا هبت الريح عاصفة او تعالت مزجرة كل
ساحاتها تعشق الارتماء

هي النار تصهرنا ، تنققنا ، تنفضنا ، تلد الجرح
في دمننا لاهبا ، تنزع الوهم منا ، تعري خطانا ،
تعلمنا كيف نحيا ، نصلي لاشواقنا ، نفتق بتاريخنا
نسترد النداء الذي نهته الليالي ، نبارك عصرا
تعانقه الشمس ، تعبده ساحة لا تظلل من يعلكون
السنين ومن يمضفون الرماد ويحتطبون الاسى
في شعاب الزمان .

منكسة كل هاماتكم ايها المستريحون في مدن
الصمت والشاربون تراب الهوان .

هنا وطن انت عانقته ، انت اسرجت قنديله ، انت
قبلت اعنابه . لا تقل : هان من بعد ما شب فيه
الحريق الكبير ، انحنى للخيل المفيرة ، اسلم مقوده
للاقف الفريقة في الماء ، في الطين ، في حنات
الهزيمة ، في معبر الشاطيء المستباح المرافي . انت
ابنه ، دمه ، صوته ، ثاره ، غده الاخضر المنتمي

للجراح

فمن بين معترك النار ينتفض الجمر ، يعلو الصباح
وينظف الليل منهزماً عبر اسواره ويطل الصباح .
لكل الذين استبيحت منازلهم صيحة يعرف
المكتون احتراقاتها ، يشهد العصر مأساتها ، تلمس
النار رعشتها ، ترهب الجهات العقيمة يوم
انتفاضتها واحتشاد اللظى في معاصمها ، في خطاها
التي ما استحالت مجامر للصمت او بركا غار فيها
الضياء

لكل المجيلين احداقهم في الصحاري ينابيع ماء
لكل المذبيين انفاسهم عطشا في دروب المنافي ارتواء
فيا مدني لا تكوني مدار انتهاء
ولا توصدي كل باب غدا يلتقي بالمسافات ، بالزمن
المتخطي ، بما يجعل الارض ساقية تشرب الاعين
المستلدة طعم اندماء .

انا انت يا وطني ، يا نداء يورقني ، يا عيوننا تطانعني
كل يوم على صيحة واحتراق وشيء يمزق مني
الحنايا انا ابن العراق المظلة اعدابه وابن ارض الشام ،
ابن سيناء والنيل ، وابن الجزيرة والقيروان ،
ابن صنعاء ، وهران والقمم الخضر ، وابن الخليج
الذي شربت من ينابيعه كل ابناء قافلتي منذ انا
والف . انا انت يا وطني هالك وجهي فوجهي مرايا
لكل الوجوه النقية . اني اغني ولو ازهر الشموك في
شفتي ، حيث ما زلت في واحتي طائراً عاشقنا
للينابيع . يا وطني انت علمتني ان اغني وان احمل
الشوق . من قال يا وطني : اني اطعم الخوف .
يا وطني مذ عرفتك لم اعرف الخوف ، لم انفصد
عروفا ولم انوزع خطي ، لم اكن عابراً جاء يطلب
زادا يواصل فيه الطريق ، يللم اشاتانه ، يرتوي
من ينابيع هذا الضحى ثم ينسل قبل ارتعاش
الجفون وقبل اشتداد الرياح

انا انت يا وطني لا تدعني سليب الخطى والجنح
ولدت وبني بعض ما فيك من خضرة . ان في
خضرة الارض اسفار صحو والوية ودروب انفتاح .

لاني اغني واحمل قيثارني فوق صدري الجريح
نبياً تسد محاربه عين الليل والبشر الضائعين
غريب انا وغريب ندائي وسفري معطلة ، كل احرفه .
لن تعطل احرف من يملكون النداء ومن يحملون
القيثار فوق الصدور الجريحة . يا وطني ان
تستحيل الصدور الجريحة والاحرف النازقات
حرائق لانعرف الانطفاء .

الا ايها الوطن المستباحة شطانه والصفاف التي تلد
الواهيين رحيلا عن المدن اللاسات ثياب الهزيمة
والاوجه الشاربات الجراح الكبيرة اقداح رمل مهيل
واكواب طين .